Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هذا وقد ذهب بعض الباحثين إلى تحميل القزويني مسؤولية تذييل البديع، وحصره في التحسين، ولست اوافقهم على ذلك؛ لأن القزويني في صنيعه هذا كان تابعاً للسكاكي، كما كان تابعاً له في تقسيم البديع إلى معنوي ولفظي ، فقد قال السكاكي ـ بعدما تناول علمي المعاني والبيان «وإذ قد تقرر أن البلاغة بمرجعيها، وأن الفصاحة بنوعيها؛ مما يكسو الكلام حلة التزيين ويرقيه أعلى درجات التحسين، فها هنا وجوه مخصوصة كثيرًا ما يصار إليها لقصد تحسين الكلام، فلا علينا أن نشير إلى الأعرف منها، وهي قسمان: قسم يرجع إلى المعنى، وقسم يرجع إلى اللفظ».(١١)

وإن كان لأصحاب اتجاه التحديد والتخصيص فضل في تهذيب فنون البديع، التي كانت قد وصلت إلى ما يربو على التسعين عند أسامة بن منقذ، ومايربو على المائة والعشرين عند ابن أبى الإصبع المصرى وأصحاب البديعيات، فإن هذا التهذيب قد بلغ مداه عند الخطيب القزويني فيما أسماه (الأصول). بيد أن القزويني بهذا اهمل فنوناً بديعية على جانب من الأهمية ـ خاصة من منظور هذه الدراسة ـ ، مثل : التكرار، والترديد، والتجزئة، والتشطير، والتفسير. كما أنه عد من (الأصول) ما هو أولى ـ فيما أرى ـ بإلحاقه بعلم البيان، وهو: التورية، والاستخدام، والتوجيه، وكذلك بعض أضرب التجريد عنده، وهو ما كان «نحو قولهم: لئن سألت فلاناً لتسألن به البحر»(١٢) كما عد من (الأصول) ما هو أولى ـ فيما أرى ـ بإلحاقه بعلم العروض، وهو (التشريع)، وما هو أولى باستبعاده من دائرة البحث البلاغي عامة، وهو (القلب)؛ لأنه ضرب من اللعب والإلغاز. كما أن القزويني سار في تعديده لفنون البديع، التي يجمعها ـ عنده ـ ضرب واحد: معنوي أو لفظي، سار على نهج من فصل بين فنون يتصل بعضها ببعض، أو هي ـ كما يقال ـ قريب من قريب. وذلك مثل: الاستطراد والتفريع والإدماج، حيث عد كل واحد منها نوعاً أو فناً برأسه، بينما كان التفريع والإدماج نوعين من الاستطراد عند ابن رشيق*، ويمكن أن نضم إلى هذه الفنون الثلاثة فن (الاستتباع) أيضاً.

ورغم هذا الفصل نلمح لدى القزويني ـ أحياناً ـ ميلاً إلى ضم أشباه ونظائر، كانت غالباً ما تأتي متفرقة. فقد ادمج القزويني المقابلة والتدبيج في (المطابقة)، وتشابه الأطراف في (مراعاة النظير)، والتبليغ والغلو في (المبالغة)، والترصيع، والتصريع والتشطير في (السجع)، كما قال عن التفويف: «فبعضه من مراعاة النظير، وبعضه من المطابقة»(١٣). هذا وما يردده الدارسون المعاصرون(١٤) عن بلاغيي هذا الاتجاه من غياب الحس والتحليل الفنيين في دراستهم البلاغي عامة يجب عليهم في درسهم البديعي.